

وذلك إذا داوموا التفكير في نعم الله وفي جلاله ، حتى يصدق يقينهم ، ويتعمق إيمانهم ، فإذا ما صار القلب ذا كراً ، خضعت له كل الجوارح ، فلا تنحرك إلا لطاعة ولا تفر إلا من معصية .

أى أن الذكر كما يكون باللسان تسبيحاً وتحميداً وتمجيداً ، يكون بالقلب تفكيراً في عظمة الخالق جل وعلا ، ونظراً في الدلائل القاطعة بوحدةانيته وجلاله ، كما أنه يكون بالجوارح إذا ما استعملت في الأغراض التي خلقت من أجلها سواء كانت عبادات كالصلاة وسائر الطاعات أو كانت أعمالاً نافعة تحقق الخير لصاحبها أو للمسلمين ، أو تمنع الشر عن صاحبها أو عن المسلمين ، فلذلك خلقها ربها ، وتكون طاعة الإنسان في استعمالها فيما خلقت له ذكراً وشكراً ، ويكون استعماله إياها في معصية الله جحوداً وتكفراً .

فأما من اجتهد في دوام التفكير في نعم الله وفي فضله ، فهو ذاكر بفكره لربه ذكراً يهديه إلى عمق الإيمان وصدق اليقين ، وبذلك ينتظم ذكر قلبه ويضطرده ، وتخضع له جوارحه ولا تعصى ، ويحق فيه وصف الحق تبارك وتعالى :

«... والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً» .
(الأحزاب - ٣٥)

«... وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ...» .
(الإسراء - ٤٤)

إن هذا النص العام الشامل الذي تنتظم فيه كل المخلوقات سواء كانت من الجوامد أو النباتات أو السوائل أو الغازات أو الأحياء أو الأموات ، ليدعونا أن نفكر بعمق لفهم الكيفية التي يجري بها هذا التسبيح عسى أن نوفق إلى فقهه فنستيقن بصدق هذا القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل العزيز الحميد .

إن الأعمال العلمي للعقل وهو ينظر في هذه الآيات الكريمة ليذكر كيفية اشتراك كل المخلوقات من جوامد وحيوانات ونباتات وسوائل وغازات وأحياء وأموات في عمل واحد هو التسبيح بحمد ربها ، يدعونا إلى البحث